خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

يوم ٢٢- ٢-٢٠٠٨

بمسجد بيت الفتوح بلندن

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر ١٩).

في خطبتي اليوم أيضا سأتحدث عن موضوع الصلاة الذي تناولته في الخطبة الماضية. كنتُ فكّرت أوّلاً أن أبدأ اليوم موضوعا جديدا، ثم حين أمعنتُ النظر قرّرتُ أن أواصل الحديث في الموضوع نفسه إذْ بقيت عندي بعض المقتطفات من كلام المسيح الموعود عليه السلام التي ينبغي تقديمها وقراءتها على مسامعكم نظرًا لأهميتها.

إن الأمر بالصلاة أمر أساسي، وبدونه لا ترتسم في الذهن أي صورة للدين. فقد جاء تأكيد شديد وتركيز كبير على أهميتها، بل إن إقامة الصلاة هي ثاني الأحكام الهامة المذكورة في أوائل القرآن الكريم في سورة البقرة بعد الإيمان

بالغيب؛ ذلك لأنه قد سبق – في سورةِ الفاتحةِ – الدعاءُ للتوفيق للعبادة.. أي إلهي نحن نعبدك، ونريد أن نعبدك كما تريد منا، فوفِّقْنا دوما لنواظب على عبادتك ونحافظ على العهد الذي يقطعه المؤمنُ المسلمُ مع ربه، ولنحقّق الغاية المنشودة من خلق الإنسان. ولهذا قد ركَّز النبي ﷺ على هذا الأمر الهامّ جدًّا فقال: "الصلاة عِمادُ الدين". (كنـــز العمال المجلد الثامن الباب الأول في فضل الصلاة ووجوبها رقم الحديث ٢١٦١٨)

ومن المعلوم أن المباني تكون متينة بقوة أعمدتها. وإن حماية الصلاة، التي هي العماد الذي يتأسس عليه بناءُ ديننا، مهمة جدا، وإلا يُخشى أن تحدث تصدّعاتٌ في بناء الدين.

إن المقتبسات من كلام المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام حول الصلاة – التي ذكرها خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم وشرحه للأحاديث النبوية – لهي واضحة بحيث تجب على كل أحمدي قراءتُها والاستماع إليها. فبقراءتها يطّلع الإنسان على روعة المعارف التي جاء بها هذا التلميذ الكامل للإنسان الكامل سيدنا النبي الأكرم ﷺ.

وبسبب هذه الأمور كلها، وبسبب رسالةٍ كتبها إلي أحد الإخوة بعد الخطبة الماضية طلب مني فيها لفت انتباه أفراد الجماعة أكثر إلى هذا الموضوع المهمّ جدًّا، ثم بسبب تقرير جاءني بهذا الخصوص من سكرتير التربية للجماعة في بريطانيا، وتقرير مماثل من رئيسة لجنة إماء الله في أمريكا، أقول: بسبب هذه الأمور كلها قد تبيَّنَتْ لي حقائقُ مُرّةٌ رسمتْ لي صورةً مُقْلِقة. ولا تظنوا – بسبب ذكري اسم بريطانيا أو أمريكا – أن الإخوة في البلاد الأخرى قد حققوا مستوى رفيعًا في الروحانية، وأن حالتهم الروحانية تبعث على الاطمئنان وأن لا خوف عليهم. كلا، بل لم أعثر في أي تقرير من أي جماعة من بلدان العالم على المستوياتِ الرفيعة التي يجب أن تكون غايتَنا المنشودة. هناك حاجة ماسّة لبذل الجهود الكبيرة والكثيرة بهذا الصدد. فبعض القائمين على نظام الجماعة يفرحون بما تأتيهم من تقارير غاضّين الطرفَ عن التقصير الموجود بصدد الصلاة، مع أن الصلاة هي ذلك الأمر الأساسي الذي يجب ألا نطمئن بشأنها اطمئنانًا زائفًا أبدًا، بل يجب ألا

ندخِّرَ جُهدًا بصددها، وينبغي على كل من يسمي نفسه أحمديا أن يسعى للحفاظ على الصلاة وإقامتها.

فبسبب هذه الأمور كلها، رأيت من المناسب توجيه انتباهكم اليومَ أيضًا إلى موضوع الصلاة في ضوء آيات القرآن الكريم وكلام المسيح الموعود عليه السلام.

إن الصلاة، كما سبق أن قلتُ، ركنٌ أساسي ومهمّ جدًّا من أركان الإسلام. فعلى كل أحمدي أن يؤديه حق الأداء وإلا ستتصدع مباني إيماننا. في هذا الوقت الذي نقيم فيه الاحتفالاتِ والأفراحَ بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس الخلافة الأحمدية الإسلامية، ويفيض قلبُ كل أحمدي بعواطف الشكر لله تعالى، يجب على كل واحد منا أن يركز على هذا الركن الأهم من أركان الإسلام اهتماما خاصا، لأن وعْد استمرار الخلافة ليس إلا في حق الذين يقيمون الصلاة. فإذا كنتم تريدون حقًّا أن تشكروا الله تعالى على هذه النعمة لتتمتعوا بفيوضها أكثر فأكثر، فعلى كل واحد منكم أن يهتم بالصلاة اهتماما كبيرا.

وها إني أكرر وأقول: علينا بمحاسبة أنفسنا؛ هل نحافظ على صلواتنا كما ينبغي؟ وهل حقّقنا، في صلواتنا، تلك المستويات الرفيعة التي يريدها الله ورسوله ﷺ منّا؟ يقول الله تعالى: لن يستطيع أحد دوني سدَّ حاجاتكم مهما دعوتموه إشراكا بي. ويقول تعالى للمشركين في الآيات السابقة للآية التي استهْلَلْتُ بها خطبتي إن مَن تدعون مِن دوني لا يسمعون دعاءكم ولا يسدّون حاجاتكم، بل سيكفرون بِشِرْكِكُمْ هذا يومَ القيامة. ليس ثمة مالكٌ لأيّ شيء إلا الله سبحانه وتعالى، والناس محتاجون إليه. وإن هذه الأمور كلها يجب أن تقود المرء إلى الخضوع أمام ذلك الإله الذي هو خالق الكون.

أما هذه الآية فقد نبَّه الله فيها أولئك الذين يخافون ربهم بالغيب، ويقيمون الصلاة نتيجة هذا الخوف والخشية، ثم يحاولون تزكية نفوسهم وتطهيرها بسبب تلك الصلوات والخشية الإلهية.

ولا يخطرنَّ ببال أحدكم أن التقاعس عن الصلاة أمر هيّنٌ. اعلموا دائمًا أن كل واحد سيلقى ربَّه بأعماله هو فقط، ولن ينفع قريبًا قريبُه. فلقد قال الله تعالى هنا أولاً أنه لن يحمل أحد حِمْلَ غيره حتى لو كان قريبه. ثم ذكَر بعد ذلك الإيمانَ بالغيب وإقامةَ الصلاة وتزكية النفس، وأخبر أن المصير الأخير إلى الله تعالى. وقد

ذكَر كلّ هذه الأمور لينبهنا نحن الضعفاء بأن نجعل خوف الآخرة نَصْبَ أعيننا دوما. عندما توقنون بأن الله مالك يوم الدين، وأن مَرَدَّكم إليه في نهاية المطاف، فسوف تهتمون بتطهير القلوب. وإن أمثل وسيلة لتطهير النفوس هي إقامة الصلاة والحفاظ عليها. وإن الذين يقيمون الصلاة هم الذين يؤمنون بالغيب، وإن الذين يخافون الله بالغيب هم الذين يرتفع مستوى تقواهم.

ولا يغيبنّ عن بال أي مسلم أحمدي أبدًا أن مجرد الإعلان – بأننا نؤمن بالله ونؤمن بخاتم النبيين ﷺ ونصدِّق المسيحَ الموعود والإمامَ المهدي عليه السلام، المبعوثَ في الزمن الأخير – لن يكفينا أبدًا ما دُمْنا لا نخشى الله تعالى. ولكن عندما تكون قلوبنا عامرة بخشية الله – كما يخشى حبيبٌ أن يسخط عليه حبيبه فيتقرب إليه أكثر– ازددنا حبًّا لله تعالى وبالتالي ازددنا خشيةً منه، فستصدر منا أعمالٌ حسنةٌ أكثر، ونتوجه إلى أداء الصلاة بالتزام أكثر، وعندها نهتم بأداء الصلاة بشروطها كما يجب. أما مجرد إعلان البيعة فلن يؤدي إلى مغفرة ذنوبكم، ولن يجلب لكم أي غفران.

جاء في رواية: عن يُونُسَ قال أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إنّ أوّلَ مَا يُحَاسَبُ النّاسُ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أعْمَالِهِمْ الصّلاَةُ. قال: يقولُ رَبّنَا عَزّ وَجَلّ لِمَلاَئِكَتِه وَهُوَ أعْلَمُ: انْظُرُوا في صَلاةِ عَبْدِي، أتَمَّهَا أمْ نَقَصَهَا؟ فإنْ كَانَتْ تَامّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامّةً وَإنْ كَانَ انتَقَصَ مِنْها شَيْئًا، قال: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِيَ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فإنْ كَانَ لَهُ تَطَوّعٌ قال: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِه. ثُمّ تُؤْخَذُ الأعْمَالُ عَلَى ذَاكَ. (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب قول النبي ﷺ: كل صلاة لا يُتمها صاحبها تتمُّ من تطوعه)

إذًا فإذا كان أول ما يحاسَب به المرء في الآخرة هو الصلاة، فكَمْ بالحري أن يهتمَّ بها. ثم يبين الحديث أن الله رؤوف بعباده، فيقول: انظروا، هل لعبدي من تطوُّعٍ، فيكمَّل به ما انتُقص من الفريضة.

إذًا، لا تكتفوا بأداء الصلاة فقط، بل يجب على الإنسان، وقد خُلِق ضعيفا، أن يتنبه إلى أن من الممكن أن يكون في فرائضه نقصٌ وخللٌ، لذا عليه أن يسعى جاهدًا لأداء النوافل قدر المستطاع. وهذا هو المستوى الرفيع المطلوب من المؤمن لكي يفوز بحب الله تعالى، ويتمكن من شكر ربه الذي قد منَّ عليه بمنٍ كثيره

وآلاء لا تعدّ ولا تحصى. وما أعظَمَ مِنَّةَ الله تعالى علينا، نحن المسلمين الأحمديين، إذ وفَّقَنا للإيمان بالمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، وجعلنا ننخرط في سلك نظام واحد ونشاهد كل يوم مشاهد القيام والقعود بإشارة من يد واحدة! فكم بالحري بنا أن نهتم بالصلاة التي تعلِّمنا النظام أكثر فأكثر، ولا تنفعنا في الدنيا فحسب بل في الآخرة أيضا، حيث أخبرنا الحديث أن أول ما نحاسَبُ به هو الصلاة.

فالمسلم الأحمدي لا يكتفي بالحفاظ على صلواته المكتوبة فحسب، بل يؤدي النوافل أيضا، لتتغمده رحمة الله إذا ما حصل نقصٌ في فرائضه، ولينظر إليه برحمته دومًا. وهذا معنى خشية الله في الغيب، لأن في صلاة التطوع يمثُل الإنسان أمام ربه في خلوة تامة. وأداء صلوات التطوع والنوافل هو ميزة مميزة للمسلم الأحمدي خاصة. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن أهمية الصلاة:

"إن الصلاة فريضة على كل مسلم. فقد ورد في الحديث الشريف أن قومًا جاءوا النبيَّ ﷺ وأسلموا، ثم سألوه أن يُعْفِيَهم من الصلاة لأنهم أصحاب أعمال وأشغال *(كما نجد في هذه الأيام أيضًا حيث يتذرع بعض الناس بالمبررات نفسها)* ولا نأمن نجاسة الثياب بسبب تربيتنا للمواشي، كما لا نجد وقتا لأداء الصلاة.

فقد قدّموا حجّتين، أحدهما أنهم يربّون المواشي، فتصاب ثيابهم بالنجاسة، ولا تجوز الصلاة إلا بالثياب النظيفة، والحجة الأخرى أنهم أصحاب أعمال وأشغال.

فردّ عليهم النبي ﷺ: ماذا سيبقى في الدين إذا خلا من الصلاة؟ لا خيرَ في دينٍ لا صلاةَ فيه.

ما هي الصلاة؟ إنما هي إعراب الإنسان عن تواضُعه وخُشوعه وتقصيراتِه أمام الله تعالى، وسؤالُه إياه سبحانه وتعالى أن يسُدَّ حاجاته، فحينًا يقوم أمامه تعالى بمنتهى التواضع تعظيمًا له وتنفيذًا لأوامره، وحينًا يخرّ ساجدًا أمامه عز وجل من فَرَطِ التذلل والتضرع، ويسأله أن يحقق مراده. هذه هي الصلاة.. أي أن يحمد الإنسانُ ذلك المسؤولَ عز وجل كما يفعل السائل، فيقولَ رَبِّ إنك تتَّصف بكذا وكذا من المحامد والصفات، مستثيرًا رَحْمَتَه سبحانه وتعالى بذكر عظمته وجلاله، ثم يسأله بعد ذلك حاجاتِه. فلا خيرَ في دين ليس فيه هذا الأمر الهام. إن الإنسان محتاج إلى الله دائما، فلا بد أن يسأله على الدوام سُبُلَ مرضاتِه وفضله، لأن الإنسان لا يقدر

على فعل شيء إلا بفضله ﷻ. فلْيَدْعُ ربَّه قائلاً: رَبَّنا وَفِّقْنا أن نكون لك، ونُرْضِيك سالكين مسلكَ رضاك. إن الصلاة اسمٌ لاستغراق القلب في حب الله وخشيته وذِكْرِه ﷻ، وهذا هو الدين بعينه. فالذي يريد أن يُعفى من الصلاة ويريد الاستغناء عنها لا يكون عمله أكثر مما تقوم به البهائم، إذ لا شغل له إلا الأكل والشرب والنوم كالبهائم. هذا ليس بدين، بل هذا دَيْدَنُ الكُفّارِ. وما أصدقَ مَن قال: "اللحظة التي يغفل فيها الإنسان عن الله يصبح كافرا." (ملفوظات مجلد ٣ ص ٢٥٣)

فالصلاة بالنسبة للمؤمن أمر يجب الاعتناء به والالتزام به، وأداؤها بانتظام هو الأمر الذي يميِّز المؤمن من غيره، بل قد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن الإنسان إذا لم يقم بعبادة ربّه فلا فرق بينه وبين البهائم. إن الله تعالى حين يذكر في القرآن الكريم سيئات الكفار يبرئ المؤمنين قائلاً إنهم مبرءون من هذه الخطايا لأنهم يقيمون الصلاة حيث قال: ﴿إلا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج ٢٣-٢٤).. أي نستثني من ذلك المداومين على الصلاة. فترى أن الله تعالى قد ذكر هنا أولاً أولئك الذين هم متلطخون بأوساخ السيئات، ثم قال أما الذين يقيمون الصلاة ويواظبون عليها فشأنهم مختلفٌ تماما. فهؤلاء لا تشغلهم أعمالُ الدنيا عن الصلاة، كما هم متخلقون بأخلاق سامية، ويؤمنون باليوم الآخر، ويخافون عذاب الله.

فهذه هي علامات المصلين حقًّا. إنهم يتحلون بأخلاق سامية ويؤدون حقوق الآخرين ويخافون الله. ولا يقبل الله تعالى إلا الصلوات الحقيقية.

ولكن مِن المسلمين مَن يصلّون دونما انقطاع، بينما يستعيذ المجتمع بالله منهم. وقد بيَّن الله تعالى علامات هؤلاء المصلين أيضا، حيث أخبر أنه مما لا شك فيه أن الصلاة عمل هامٌّ جدا، لكن يجب أن تُؤدّوا صلواتكم بحيث تحظون بها برضوان الله، فلا تصلّوها بدافع الرياء. يجب أن لا تُؤْثِروا أعمالَ الدنيا على صلواتكم، بل ينبغي أن تُؤْثِروها على كل عمل دنيوي. ثم يجب أن تصلوها بالتزام ومثابرة دون انقطاع متحلين بخشية الله. فإن مثل هذه الصلوات سيظهر تأثيرها الطيب في علاقاتهم مع مجتمع المؤمنين. ثم يجب أن تخلو قلوبكم من أي رغبة في كسب الصيت، ذلك لأن الإنسان يهدف أحيانا إلى مدح الناس له بسبب صلاته،

ولذلك فقد ذكر القرآن أن مِن المصلين مَن يصلّون رياءً للناس، إذ ترغب قلوبهم أن يمدحهم الناس ويثنوا عليهم بأنهم ملتزمون بالصلاة.

أما نحن الأحمديون فمِن منن الله تعالى علينا أننا، نتيجة انضمامنا إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام وتصديقنا له، أدركنا مغزى الإسلام الحقيقي الذي علّمنا إياه الرسولُ ﷺ، حيث أنزل الله على رسوله هذا التعليم فقال في القرآن الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (الماعون ٥-٧).. أي تبًّا لأولئك المصلين الذين هم عن صلاتهم غافلون أو هم مُراؤون.

فهذه الآية تتناول ثلاثة أمور، وتقول: ويل للمصلين الذين يُصلّون ولكنهم في الحقيقة غافلون عن صلاتهم، ويراءون. ويتبين جليا من هذه الآيات أن هناك أناسًا يُصلّون لكنهم لا يُصلّون ابتغاء مرضاة الله بل يُصلّون متأثرين بتأثير المجتمع ولا يقومون بها إلا كعادة متَّبَعة أو كتقليد فارغ ليس إلا، وفيهم سيئات أخلاقية أخرى أيضًا بما فيها الرياء، ولكنهم لا يبالون بها ولا يحاولون اجتنابها. أما المصلي الحقيقي فيتميز بأخلاقه السامية ويحاول التخلص من ضعفه الأخلاقي.

فإن هذه الآيات تتضمن إنذارًا أيضا للذين جاءوا بعد الصحابة، إذ لم يكن الصحابة غافلين عن صلواتهم، بل كانوا متحلّين بتلك الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها كل مؤمن حقيقي، بيد أننا نجد في زمن النبي ﷺ منافقين كانوا يخادعون، وقال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (النساء ١٤٣).. أي أنهم كلما قاموا لأداء الصلاة قاموا متكاسلين، عدا عن المساوئ الأخلاقية التي توجد فيهم. كما تَصِف تلك الآياتُ حالةَ المسلمين في هذا الزمن الأخير، الذين قال عنهم النبي ﷺ: "مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى" (شُعَبُ الإيمان للبيهقي ج ٤ ص ٤٢٣).. أي أن مساجدهم في ذلك العصر ستكون عامرة بالمصلين في الظاهر ولكنها تكون خالية من الهدى. إذًا، فإن هذه الآيات السابقة تتحدث عن هؤلاء الذين مساجدهم خراب من الهدى، والذين ستصبح صلواتهم لعنة عليهم.

وإننا لسعداء حقًّا لأننا من تلك الثُلّة من الآخَرين الذين تنبأ عنهم الرسول العظيم والمزكّي الأعظم ﷺ أنهم سيُلحَقون به وبعصره، والذين قال الله تعالى أيضا إنهم سيُلحَقون بالأوَّلين. ألا ترون – بعد هذه المنة العظيمة – أنه تقع على عواتقنا

مسؤولية كبيرة وهي ألا نتكاسل في أداء صلواتنا، وألاّ نتوانى في أداء حقوق الله ولا نقصّر في أداء حقوق العباد، وأن نجتنب كل ما حذرنا الله تعالى منه؟ وما دام الله تعالى فَصَلَنا، بفضله ورحمته، عن أولئك الذين مساجدهم خراب من الهدى، فكم بالحريّ بنا أن نخضع أمامه ﷻ بمشاعر الشكر والامتنان مخلصين له حتى نحظى بالمزيد من فضله وإنعامه. ولكنا لن نتفادى هذه الحالة المتردية ما لم تصبح صلواتُنا خالصةً لله تعالى، وما لم نواظبْ عليها باستمرار. علينا أن نخشى التردِّي إلى هذه الحالة الخطيرة، داعين الله تعالى ألا يتكاسل أيُّ واحد منا بهذا الشأن، فيُبعِدَه تكاسلُه هذا عن الدين وعن الله تعالى. فللفوز بقرب الله تعالى، لا بد من السلوك بحذر شديد في الطريق الذي هدانا الله إليه، كما تجب العناية القصوى بأداء الصلوات. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"..... بعد فهم الشهادة "لا إله إلا الله" ينبغي أن تهتمّوا بأداء الصلاة التي قد أوصى الله بالمواظبة عليها مرارًا وتكرارًا في القرآن الكريم. غير أنه تعالى يقول أيضا: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون:٥-٦).. أي الهلاكُ للمصلين الذين هم غافلون عن حقيقة الصلاة.

اعلموا أن الصلاة هي بمنـــزلة سؤال يتقدم به الإنسان في حضرة الله تعالى بحُرقةٍ وألمٍ حينما يُحرَم قُرْبَه تعالى، فيسأله أن يرزقه لقاءه ووصاله، إذ من المستحيل أن يتطهر أحد ما لم يطهِّره الله تعالى، وأن يحظى أحد بوصاله تعالى ما لم يرزقه اللهُ إياه.

(أي لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الله تعالى ما لم يوصله ﷻ بنفسه إليه، أو ما لم يفتح له طرق لقائه)

هناك في عنق الإنسان أطواق وأغلال كثيرة يسعى جاهدًا للتحرر منها ولكن من دون جدوى، وتصدُر عن نفسه اللوامة زَلَّاتٌ كثيرة رَغْمَ رغبتِه في التطهر. ذلك لأن التطهير من الذنوب هو بيد الله تعالى، وليس ثمة أحد سواه قادرا على تطهيركم. ولخلقِ المشاعر الطاهرة في الإنسان فقد فرض الله تعالى الصلاةَ. ما هي الصلاة؟ إنما هي دعاء يدعو به الإنسان ربَّه بألمٍ ولَوعةٍ وحُرقةٍ ليتخلص من تلك الأفكار السيئة والنيِّات الفاسدة، ويتيسر له حبٌّ طاهر وعلاقة طيبة به، ويُوفَّقَ للسلوك بحسب أحكام الله تعالى. إن كلمة الصلاة نفسها تدل على أنه لا يكفي

المرءَ الدعاءُ بلسانه فحسب، بل لا بد معه من التياعٍ وحرقةٍ ورِقّةٍ أيضا. (جريدة "بدر" المجلد ٦، رقم ١و٢ عدد ١٠ يناير/كانون الثاني ١٩٠٧م ص١٢)

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لتحسين صلواتنا وتزيينها بمنتهى الالتياع والحرقة، ولنُعرِض عن كل الأطماع والأماني والمشاغل الدنيوية التي تشغلنا عن الصلاة. وكما قال المسيح الموعود عليه السلام إننا لا نستطيع أن نتجنب الأطماع والأماني والمشاغل الدنيوية ولا أن نطهر أنفسنا ولا أن نفوز برضا الله تعالى معتمدين على جهودنا، بل هناك طريق وحيد لتحقيق كل ذلك؛ ألا وهو الصلاة. فإن كنتم تريدون أن تُعَدُّوا من الذين ينالون قرب الله تعالى فلا بد لكم من المداومة على الصلوات وعلى أدائها دونما رياء، الأمر الذي سيميّزنا عن الآخرين وسيمكّننا من قرب الله تعالى. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون ٢-٣).

لقد بيّن الله تعالى بعد هاتين الآيتين صفاتٍ كثيرةً أخرى للمؤمنين المفلحين، أُولاها أنهم يؤدون صلواتهم خاشعين مخلصين لله تعالى، فإن الدرجة الأولى في سُلَّمِ النجاح والفلاح، والشرط الأول لنيل الأفضال والنِّعم المادية والروحانية هو أن نصلّي صلواتنا خالصة لله سبحانه وتعالى. كما يجب أن نؤدي صلواتنا لإحراز خشية الله تعالى والفوزِ بحبّه عز وجل وجزائه ورضاه. وهذا هو الهدف الحقيقي من حياة الإنسان، ومَن حقَّق هذا الهدف فلا حاجة له إلى أي شيء آخر. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"هذه الصفات هي المرحلة الأولى من مراحل تكوُّنِ الكيان الروحاني للمؤمن. فإن تلك الرقة والخشوع والضراعة والحرقة التي تتسنى للمؤمن في الصلاة وذكرِ الله تعالى هي المرحلة الأولى من مراحل تكوين كيانه الروحاني.. أي أن يخلق المؤمن في نفسه حالةً من اللوعة والرقة والخشوع والتضرع والابتهال وخضوع الروح والاضطراب والقلق والحرقة وإنابة القلب إلى الله عز وجل باستيلاء حالة من الرهبة على نفسه كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.. قد فازَ ببُغْيَتِهم المؤمنون الذين صِفَتُهم في صلواتهم وفي أذكارهم كلها التواضعُ والتضرع والابتهال، فيذكرون الله سبحانه وتعالى برقّة ولوعة وذوبان وقلق وكرب وحماسِ قلبٍ. إن هذه الحالة من الخشوع المذكورةِ أعلاه

إنما هي المرحلة الأولى في تكوين الكيان الروحاني، وبتعبير آخر، إنها هي البَذْرةُ الأُولى التي تُزرَع في أرض العبودية. (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، المجلد الثالث، سورة المؤمنون)

أي أن الخشوع يمثل مرتبة أولى لإعداد الكيان الروحاني، أو هو بذرة تُبذَر في أرض العبودية حتى يصبح صاحبها عابدا لله تعالى.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"إن في الصلاة التي تؤدَّى خمسَ مرّات أيضًا إشارة إلى أن الإنسان إذا لم يَحْمِ صَلاتَه من النـــزعات والأفكار النفسانية فلن تُعَدَّ صلاةً حقيقية أبدًا. إن الصلاة لا تعني أبدًا بِضْعَ نقراتٍ وأداءَها كمجرد طقس من الطقوس. كلا، بل إن الصلاة عملٌ ينبغي أن يشعر به القلب أيضا، حتى تذوب الروح وتخرّ على عتبة الله من شدة الخوف. على المرء أن يسعى بكل ما أوتي من قوة حتى تتولد في قلبه الرِّقَّة، ويدعو بمنتهى الضراعة ليزول ما في نفسه من التجاسر والذنوب. وإن صلاة كهذه هي الصلاة المباركة، ولو داومَ عليها الإنسان لوجد أن نورًا قد نزل على قلبه ليلاً أو نهارا، وأن نزعة نفسه الأمّارة قد خفَّتْ وتراجعتْ. وكما أن في الأفعى سُمًّا قاتلاً، كذلك يوجد في النفس الأمّارة سُمّ قاتل، ولا علاجَ له إلا بيدِ مَن خلَق هذه النفس. (جريدة "بدر" المجلد ٣ رقم ٣٤، بتاريخ ٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٠٤م ص ٣)

يعني حضرته عليه السلام أن الخضوع في حضرة الله عز وجل بمنتهى التواضع والاصطبار عليه يقضيان على دوافع السيئات في النهاية، فلا بد من الخضوع أمام الله تعالى للقضاء على السيئات.

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(طه ١٣٣)

وهذا إعلانٌ وأمرٌ ووصيةٌ من الله تعالى بأن تهتموا بالصلاة وتحثوا عليها أهلكم أيضا، لأنها تنفعكم كثيرا، وتنالون ثمراتها في الدنيا وفي الآخرة، وأن المتقي سيحرز الفلاح في الآخرة كما يرزقه الله تعالى في الدنيا من حيث لا يحتسب.

لا يريد الله تعالى فرْضَ ضريبة عليكم بفرض الصلاة، بل الواقع أنه يُنعِم بها على الإنسان الذي يطمح إلى أن يحقق الغرض من خلقه.

ولنيل الجزاء والثواب لا بد للمرء من السعي والاجتهاد، فما دام المرء يجتهد لنيل الجوائز المادية في الدنيا فلماذا لا يجتهد لنيل الجوائز الروحانية؟ فإذا عرف الإنسان أن إلهه يحبّه حبًّا لا مثيل له فليس هناك شيء يمنعه من عبادته وشكره. قيل لرسول الله ﷺ إن الله تعالى قد أخبرك أنه قد منحك النعم والأفضال كلها، فلماذا ترهق نفسك بإطالة الصلاة لهذه الدرجة؟ فقال ﷺ: "أفلا أكون عبدا شكورا". (البخاري، كتاب التفسير، باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك...)

هذه هي الأسوة التي يجب علينا التأسي بها لنشكر الله على نعمه.

كيف ينبغي أن تكون صلواتنا؟ وما هي الحكمة في الحركات والأوضاع المختلفة في الصلاة؟ وكيف ينبغي أن نصلّي حتى نؤدي حقها؟ يبين المسيح الموعود عليه السلام هذه الأمور كلها قائلا:

"الصَلْيُ (الذي اشتُقّ منه لفظ الصلاة) يعني الحرق والشيّ، لذا فلا بد في الصلاة مِن حُرقةٍ تَشْوِي كما يُشوَى الكباب. فلا تتولد المتعة واللذة في الصلاة بدون حرقة القلب والتياعه. والحق أن الصلاة لا تصبح صلاة حقًّا إلا بهذه الكيفية. إن من شروط الصلاة أداءها بجميع لوازمها، أما بدون ذلك فإنها ليست صلاةً أصلاً، كما لا تتيسر فيها تلك الكيفية التي تجعلها مَعْلَمًا في السير الروحاني.

اعلموا أنه لا بد من اجتماع القال والحال في الصلاة، ذلك لأن الإعلام يكون بالصورة أحيانًا، حيث يُرَى المرءُ صورةً فيعرف بها قصد صاحبه.

(فأولاً قال حضرته عليه السلام هنا إن الإنسان إذا لم يؤد صلاته بكل شروطها فلن تتيسر له تلك الحالة التي يجب أن يبدأ بها رحلته الروحانية، والتي سيهتدي بها إلى الصراط المستقيم.

ثم قال: لا بد من انسجام القول والفعل أثناء الصلاة.. أي لا بد من أن تتفق أعمالكم مع الكلمات التي تتلفظون بها. أحيانًا يُخْبَر المرء عن شيء من خلال صورة يفهم برؤيتها قَصْدَ صاحبه، والصلاة المذكورة تصبح صورة للمشيئة الإلهية.. أي أن مشيئة الله ورضاه تكمن في مثل هذه الصلاة.)

ثم يقول عليه السلام: "لأن المصلي كما يردد بلسانه بعض الكلمات، كذلك يرمز بحركات أعضائه وجوارحه إلى أمرٍ. وحالة المصلي حين يحمد الله ويسبحه واقفًا تسمى قيامًا، ومعروف لدى الجميع أن القيام أنسبُ وضعٍ للحمد والثناء، ألا

ترى أن الشعراء يُلقون قصائدهم أمام الملوك قائمين؟ فإن الله تعالى قد فرض في الصلاة قياما ظاهريًّا من جهة، ومن جهة أخرى أمَر بالحمد والثناء عليه باللسان أثناء القيام، وإنما الغاية منه أن يقوم المصلي أمام الله تعالى قيامًا روحانيًا أيضًا. ومن المعروف أن الحمد يتم بعد الاقتناع بشيء، فحين يحمد المرء أحدا مصدِّقا إياه فلا يفعل ذلك إلا إذا كان ثابتا على موقف معين منه، لذلك فلا يكون أحد صادقًا في قوله ﴿الحمد لله﴾ إلا إذا أيقن تمامًا أن جميع أنواع المحامد هي لله تعالى وحده. فإيقانه بذلك بقلب منشرح هو القيام الروحاني، لأن القلب أصبح ثابتًا على هذا الأمر، فيُعَدّ المصلي قائمًا في الحقيقة ويتيسر له القيام الروحاني.

ثم في حالة الركوع يقول المصلي: "سبحان ربي العظيم". ومعلوم أن المرء إذا اقتنع بعظمة أحد خضع له، فإن عظمة الله تعالى تقتضي من المصلي الركوع، ولذلك يقول "سبحان ربي العظيم" بلسانه كما يركع بجسده، ليتفق حاله مع قوله.

والجملة الثالثة هي "سبحانَ رَبِّيَ الأعلى". وكلمة "الأعلى" هي على صيغة التفضيلِ أفعَلُ، وهذا في حد ذاته يقتضي السجود، (*إذ لا بد من السجود لمن هو الأعلى*)، ولذلك لا يلبث المصلي أن يخر ساجدًا لتتوافق صورته الظاهرة مع قوله، (*وكأنه يقول بما أن الله تعالى هو الأعلى فلا بد أن أخرّ ساجدا أمامه*)، فيتلاءم وضعُه مع إقراره.

فمقابل اعترافاته الثلاثة هناك أوضاع جسمانية ثلاثة تقدِّم أمامه صورة ذات مغزى. فيقوم بهذه الحركات الثلاث كلها، التي يشترك فيها لسانه أيضًا الذي هو عضو من جسده، فيقرّ اللسان أيضا ويشترك مع الجسم في إقراره الظاهري. ولكن هناك شيء ثالث، إذا لم يشترك معهما فلا صلاة له. وما هو ذلك الشيء؟ ألا إنه القلب. ولذلك لا بد لقلب المصلي من قيام، حتى إذا نظر الله تعالى إلى قلبه وجد أن جسمه ليس قائمًا وحده أمامه تعالى، وليس لسانه وحده يحمده تعالى، بل إن قلبه أيضًا يحمده قائمًا (*فالشيء الثالث هو القلب، أي عندما تتم كل هذه الأمور بحيث يتحرك اللسان بالكلمات، والجسم ينسجم معها، فلا بد أن يمتلئ القلب بالشعور نفسه، والنتيجة أن هذه الحالة تستجلب العنايَة الإلهية للعبد، حيث يرى أن قلبه أيضا يمدحه تعالى قائمًا*) وأن روحه أيضًا تحمده قائمةً.

وحينما يقول المصلي: "سبحان ربي العظيم" فينبغي ألا يكتفي بإقرار لسانه بعظمة

الله وركوع جسده فحسب، بل ينبغي أن تركع معه روحه أيضًا.(*أي ينبغي أن يتولد في روحه شعور بأنه قد ركع فعلاً*) ثم في المرحلة الثالثة عندما يخرّ ساجدًا برؤية علوّ شأنه ﷻ، فعليه أن يتأكد أن روحه أيضًا ساجدة على العتبة الإلهية. (*أي أن لسانه أيضا يردد الكلمات، والجسم يتمثّل أيضا بحسبها، والقلب أيضا يخر ساجدا أمام الله تعالى*) وما لم تتيسر له هذه الحالة في الصلاة فعليه ألا يطمئن، لأن هذا هو معنى إقامة الصلاة في قوله تعالى ﴿ويقيمون الصلاة﴾.

(*فينبغي على كل مؤمن أن يخلق في نفسه هذه الحالات الثلاث. فكل ما يتلفظ به لسانه يجب أن يظهر عمليا من خلال حركات جسمه، كما يشعر به قلبه شعورا يراه الله تعالى.*)

ثم يقول عليه السلام: "ولو قيل: كيف تتيسر هذه الحالة؟ فإنما جواب ذلك أن على المرء أن يداوم على الصلاة ولا يضيق ذرعًا من هجوم الوساوس والشبهات، إذ لا بد له في البداية من خوض حرب ضد الشكوك والشبهات، وليس علاج ذلك إلا الدوام على الصلاة بثبات وصبر لا ينفدان، والاستمرار في الدعاء والابتهال أمام الله تعالى، وعندها سوف تتيسر له تلك الحالة التي قد وصفتُها آنفًا." (جريدة "الحكم" مجلد ٥ رقم ١٤ ١٧ إبريل ١٩٠١م ص ١)

إذًا فلا بد من أن تنشأ الشكوك والشبهات في البداية، ولا تنشأ تلك الحالة المنشودة في قلبه رغم ترديد لسانه تلك الكلمات، لأن قلبه يكون في معزل عنها. وعلاج ذلك أن يستمر الإنسان في أداء الصلوات بمثابرة ومواظبة واصطبار، داعيًا الله ﷻ أن يرزقه لذةً وسرورًا فيها. ولو فعل ذلك تيسرت له تلك الحالة المنشودة في وقت ما.

ثم يقول حضرته عليه السلام:

"ليس هناك وِرْد ولا ذِكرٌ أفضلَ من الصلاة، لأن فيها حمدَ الله، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ. إن الصلاة جامعة لجميع الوظائف والأوراد، (*يسأل بعض الناس عن ورد أو ذكر معين فيجيب عليه السلام: إن أكبر وِرْد هو الصلاة، لأن الإنسان يحمد الله تعالى فيها ويستغفره ويصلي على النبي ﷺ، وهي الأمور التي تتسبب في استجابة دعائه، ثم يقول حضرته:*) وبها تزول كل أنواع الهموم والأحزان، وبها تنحل المشاكل وتزول الصعاب. كان النبي ﷺ كلما أصابه هَمٌّ –

ولو خفيف – قام للصلاة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾. فليس ثمة سبيل لسكينة القلب أفضل من الصلاة." (جريدة "الحَكَم" مجلد ٧ رقم ٢٠ عدد ٣١ مايو ١٩٠٣ ص ٩)

فهذه هي الدرجات السامية التي يجب أن نسعى لبلوغها، أعني ألا نقتصر على المواظبة على الصلوات فحسب، بل ينبغي أن تسجد كل ذرة من كياننا وروحنا لله ﷻ، وأن تفيض صدورنا بتلك الأدعية التي تقربنا إلى الله زلفى، وأن نرى في أنفسنا ذلك الانقلاب العظيم الذي لا يُرى فيه إلا رضوان الله تعالى. ندعو الله تعالى أن يوفق كل واحد منا لرؤية هذه المشاهد السامية، آمين.